

وجه مقاومة قوية من سلطان الإلف والعادة ، وموروث الأعراف والأوضاع . ويشهد على ذلك أن الملك عبد العزيز أعلن ، رحمه الله ، بدء الحياة الجديدة ، في شهر يناير سنة ١٩٣٠ ، وظلت البادية بعد ذلك تنظر في حذر وارتياح إلى كل خطوة نحو التحضر ، وتحاول أن تدفع منكرات البدع باللسان أو القلب ، بعد أن عمزت عن دفعها باليد . . . وبدا كأن الصحراء في حاجة إلى معجزة جديدة ، تضع حداً لهذه الحرب الخفية ضد العلم الذي يتجه إلى الإسلام في ترسيخ الإيمان ، وتُمكن عاهل الجزيرة من تنفيذ رغبته في إصلاح وطيد الأسس حاسم النتائج ، بدلا من هذه الخطوات البطيئة الخدرة ، المهذدة في أى وقت بهجوم مضاد من الرجعية ، يعيدها القهقري مجهدة مقهورة .

* * *

هل قلت إن المعركة كانت بين الرجعية والمحدثات من بدع الأجهزة والآلات ! إني إذن لم أقل كل الواقع ، فالحق أن أبعاد الصراع كانت أعمق غوراً وأوسع مجالاً ، لم يقف الصراع عند (البدع) المستحدثة في آخر هذا الزمان ، بل امتد إلى نمط العيش ومواد التعليم موغلا في الصميم ، لم يكد يدع كبيرة ولا صغيرة من شئون الحياة . وقد نقلت آنفاً ، ما كان من نيل بعضهم الإمام العاهل بموالة الكفار والتساهل في الدين ؛ وإنتكارهم عليه تطويل الثوب والثياب ولبس العقال . ولنا أن نتصور مدى ما كان المجدد المصلح يحتاج إليه من جهد وصبر وحزم وحكمة وطول بال . لكى يتغلب على عناد قوم ضجوا لأن المدارس تريد لتفتن التلاميذ عن العلم الحق الذى لا يمكن أن يخرج عندهم عن التفسير والحديث والفقهاء وعلوم العربية وتاريخ الإسلام . وكان من مظاهر الضجة أن « اجتمع علماء الدين من النجديين ، سنة ١٩٣٠ وتشاوروا في الأمر ، ثم أصدروا قراراً بالاحتجاج على إدارة المعارف في مكة ، لأنها أدخلت في برنامج التعليم : الرسم واللغة الأجنبية والجغرافية . » ! ولم ير العاهل من الحكمة أن يمضى في سبيله غير مكترث لاحتجاج المشايخ ، بل أوفد رسولاً إليهم « ليجلو لهم الأمر ويبحث معهم في شأن هذه المسائل التى احتجوا عليها وطلبوا إلغائها من برامج التعليم . »

قال قائلهم :

« لقد بينا للإمام عبد العزيز الأدلة والمفاسد التى تترتب على تقرير هذه العلوم : أما الرسم فهو التصوير وهو محرم قطعاً . وأما اللغات فإنها ذريعة للوقوف على عقائد الكفار